

علوم الحديث

وهو عبارة عما وقع في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة البعيدة من الفهم لقلة استعمالها .

هذا فن مهم يقبح جهله بأهل الحديث خاصة ثم بأهل العلم عامة والخوض فيه ليس بالهين والخائض فيه حقيق بالتحري جدير بالتوقي .

روينا عن (الميموني) قال : سئل (أحمد بن حنبل) عن حرف من غريب الحديث فقال : سلوا أصحاب الغريب فإنني أكره أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ - A - بالظن فأخطئ .
وبلغنا عن التاريخي (محمد بن عبد الملك) قال : حدثني (أبو قلابة عبد الملك بن محمد) قال : قلت (للأصمعي) يا (أبا سعيد) ما معنى قول رسول الله ﷺ - A - ((الجار (160)) أحق بسقيه)) . فقال : أنا لا أفسر حديث رسول الله ﷺ - A - ولكن العرب تزعم أن السقب اللزيق .

ثم إن غير واحد من العلماء صنفوا في ذلك فأحسنوا . وروينا عن (الحاكم أبي عبد الله الحافظ) قال : أول من صنف الغريب في الإسلام (النصر بن شميل) . ومنهم من خالفه فقال : أول من صنف فيه (أبو عبيدة معمر بن المثنى) . وكتاباهما صغيران .
وصنف بعد ذلك (أبو عبيد القاسم بن سلام) كتابه المشهور فجمع وأجاد واستقصى فوقع من أهل العلم بموقع جليل وصار قدوة في هذا الشأن .

ثم تتبع (القتيبي) ما فات أبا عبيد فوضع فيه كتابه المشهور .
ثم تتبع (أبو سليمان الخطابي) ما فاتهما فوضع في ذلك كتابه المشهور .
فهذه الكتب الثلاثة أمهات الكتب المؤلفة في ذلك . ووراءها مجامع تشتمل من ذلك على زوائد وفوائد كثيرة ولا ينبغي أن يقلد منها إلا ما كان مصنوها أئمة أجلة .
وأقوى ما يعتمد عليه في تفسير غريب الحديث : أن يطفر به مفسرا في بعض روايات الحديث .
نحو ما روي في حديث (ابن صياد) أن النبي - A - قال له : ((قد خبأت لك خبيئا فما هو ؟)) . قال : الدخ .

فهذا خفي معناه أعضل وفسره قوم بما لا يصح . وفي معرفة علوم الحديث (للحاكم) أنه الدخ بمعنى الزخ الذي هو الجماع وهذا تخليط فاحش يغيث العالم والمؤمن .
وإنما معنى الحديث أن النبي - A - قال له : قد أضمرت لك ضميرا فما هو ؟ فقال : الدخ بضم الدال يعني الدخان والدخ هو الدخان في لغة إذ في بعض (161) روايات الحديث ما نصه : ثم قال رسول الله ﷺ - A - ((إني قد خبأت لك خبيئا)) وخبأ له : ((يوم تأتي السماء بدخان

مبين () . فقال (ابن صياد) هو الدخ . فقال رسول الله - A - ((اخساً فلن تعدو قدرك)) . وهذا ثابت صحيح خرجه (الترمذي) وغيره . فأدرك (ابن صياد) من ذلك هذه الكلمة فحسب على عادة الكهان في اختطاف بعض الشيء من الشياطين من غير وقوف على تمام البيان . ولهذا قال له : (اخساً فلن تعدو قدرك) أي فلا مزيد لك على قدر إدراك الكهان والله أعلم